شرح قصيدة المتجردة

تعتبر هذه القَصيدَة واحدة من أشهر قصائد الشاعر الجاهلي النابغة الذبياني، والتي يقول في مطلعها: أَمِن آلِ مَيَّةَ رائِحٌ أَو مُغتَدِ عَجلانَ ذا زادٍ وَغَيرَ مُزَوَّدِ، وقد نظم النابغة هذه القصيدة على بحر الكامل وقافية الدال المكسورة، ويبلغ عدد أبيات القصيدة كاملة نحو 35 بيتًا، وقد رويَ أنَّ هذه القصيدة تغزل بها النابغة بزوجة النعمان بن المنذر رغم أنَّه كان على علاقة طيبة به ومن الندماء الدائمين في بلاطه، ولكن بعد ذلك غضب عليه النعمان بسبب القصيدة فهرب النابغة الذبياني إلى الغساسنة مدة من الزمن حتى عفا عنه النعمان وعاد إلى بلاده، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شَرح القَصيدة:

أَمِن آلِ مَيَّةَ رائِحٌ أَو مُغتَدِ
عَجِلانَ ذا زادٍ وَغَيرَ مُزَوَّدِ
أَفِدَ التَرَجُّلُ غَيرَ أَنَّ رِكابَنا
لَمّا تَزُل بِرِحالِنا وَكَأَن قَدِ

يبدأ الشاعر قصيدته متعجبًا ومتسائلًا حول ذهابه وإيابه من وإلى ديار آل مية، ويشار إلى أنَّ الشاعر تغنى بدار مية أكثر من مرة حتى أن معلقته ذكر دار مية في مطلعها، ويقول في هذين البيتين: إلى متى أيها الرجل سوف تظلُّ تذهب وتعود إلى دار مية صباحًا ومساءً وأنت على عجلة من أمرك، تأخذ زادك معك وتعود من دون الزاد الذي ذهبت من أجله أي من دون أن تحظى برؤية مية، وها قد اقترب موعد الرحيل ولكنَ الإبل ما تزال ثابتة مكانها لا تريد الرحيل، ولكن من شدة اقتراب الموعد وكأنها تحركت من مكانها وعزمت على الرحيل.

حانَ الرَحيلُ وَلَم تُوَدِّع مَهدَداً
وَالصُبحُ وَالإِمساءُ مِنها مَوعِدي
في إِثرِ غانِيَةٍ رَمَتكَ بِسَهمِها
فَأَصابَ قَلبَكَ غَيرَ أَن لَم تُقصِدِ

لقد حانت ساعت الرحيل وإلى الآن لم تودعني محبوبتي رغم أنه لا يقتصر موعدي معها على الصبح والمساء بل موعدي معها طوال الدهر والأيام والأوقات، وللأسف كان موعد الرحيل بعد أنّ أصابتك إحدى الفتيات الحسناوات بسهام عينيها الساحرتين، فأصابت بذلك قلبك ولكنها لم تقتلك بتلك السهام بل أوقعتك أسيرًا في حبها.

نَظَرَت بِمُقلَةِ شادِنٍ مُتَرَبِّبٍ
أَحوى أَحَمِّ المُقلَتَينِ مُقَلَّدِ
وَالنَظمُ في سِلكٍ يُزَيِّنُ نَحرَها
ذَهَبٌ تَوَقَّدُ كَالشِهابِ الموقَدِ

لقد نظرت إليك تلك الحسناء بنظرات غزال حبيس في البيت، وهو غزال ذو لون يميل إلى الحمرة، وعيناه شديدتا السواد، وقد تزين جيده بالذهب والمجوهرات، وقد زينت تلك الحسناء صدرها أيضًا بأطواق وقلائد من الذهب اللامع والمشع وكأنه ضوء ساطع وشهاب متوقد في السماء.

قامَت تَراءى بَينَ سَجفَي كِلَّةٍ
كَالشَمسِ يَومَ طُلوعِها بِالأَسعُدِ
أَو دُرَّةٍ صَدَفِيَّةٍ غَوّاصُها
بَهِجٌ مَتى يَرَها يُهِلَّ وَيَسجُدِ

وقد كانت تلك الفتاة الجميلة تعرض لنا جمالها ومفاتنها من فتحة الستارة الرقيقة الشفافة، فبدت وكأنها مثل الشمس في أجمل وأبهى طلعاتها، وعندما تكون في إشراقة صافية نضرة خلابة، كما أنها مثل الدرة الثمينة العظيمة التي ما إن يجدها الغواص التي سوف تكون له حتى يضج فرحًا ومن شدة فرحه يكبر ويهلل ويشكر الله تعالى على ما وهبه ويخر ساجدًا له.

سَقَطَ النَصيفُ وَلَم تُرِد إِسقاطَهُ
فَتَناوَلَتهُ وَاتَّقَتنا بِاليَدِ
بِمُخَضَّبٍ رَخصٍ كَأَنَّ بَنانَهُ
عَنَمٌ يَكادُ مِنَ اللَطافَةِ يُعقَدِ

لقد سقط غطاء رأسها وجهها عنها عندما فوجئت بي قد رأيتها، فحاولت أن تغطي وجهها عني بيديها وبمعصمها، وقد حاولت أن تحجب نفسها عن عيني بيديها وأصابعها الرقيقة والناعمة والطرية مثل نبات العنم الأخضر الطري النضر، ومن شدة رقة أصابعها ولينها تكاد أن تعقد وتلف على بعضها.

نَظَرَت إِلَيكَ بِحاجَةٍ لَم تَقضِها
نَظَرَ السَقيمِ إِلى وُجوهِ العُوَّدِ

تَجلو بِقادِمَتَي حَمامَةِ أَيكَةٍ
بَرَداً أُسِفَّ لِثاتُهُ بِالإِثمِدِ

وقد كانت نظراتها إليك معبرة ولكنها لم تستطع الكلام عن حاجتها خوفًا من أهلها وممن حولها، ولكنها عبرت عن ذلك بنظراتها، فكانت مثل نظرات المريض التي يتطلع بها إلى الزائرين من حوله ولا يستطيع الكلام، وقد كشفت لي عن أسنان ناصعة البياض وكأنها برد وذلك عندما أبعدت شفتيها عن بعضهما وكأنهما ريش حمامة سواده قد رش عليها الكحل الأسود.

لَو أَنَّها عَرَضَت لِأَشمَطَ راهِبٍ
عَبَدَ الإِلَهَ صَرورَةٍ مُتَعَبِّدِ
لَرَنا لِبَهجَتِها وَحُسنِ حَديثِها
وَلَخالَهُ رُشداً وَإِن لَم يَرشُدِ

ثم يقول لو أنَّ هذه الحسناء بحسنها وجمالها شاهدها راهب عجوز كبير في السن قد علا الشيب رأسه، وقد كان منقطعًا للعبادة طوال حياته، متنسكًا لم يرتكب إثمًا واحدًا في حياته ولم يتزوج ولا يعرف النساء، لفوجئ بها وبجمالها وراح يطيل النظر إليها ويتمعن في حسن حديثها، وقد سلبت عقله وقلبه، ولراح يقول أنَّ ذلك من العقل والرشد وليس من الضلال وإن كان هو ضلالًا أصلًا.

بِتَكَلُّمٍ لَو تَستَطيعُ سَماعَهُ
لَدَنَت لَهُ أَروى الهِضابِ الصُعَّدِ
وَبِفاحِمٍ رَجِلٍ أَثيثٍ نَبتُهُ
كَالكَرمِ مالَ عَلى الدِعامِ المُسنَدِ

ومن شدة عذوبة حديثها ورقة كلامها فإنها تؤثر في كل الناس، وحتى لو سمعت كلامها وحديثها أشد الوعول نفورًا ووحشية لاقتربت منها وأصغت إلى كلامها بسبب تلك العذوبة التي تسيل من منطق حديثها، كما أنَّ شعرها الأسود الفاحم قد بدا لنا مكثفًا ومتراكبًا بعضه فوق بعض مثل عناقيد العنب التي أسندت إلى أعمدة ودعائم بسبب طولها وكثرتها وكثافتها.

الصور الفنية في قصيدة المتجردة

تحتوي القصيدة على كثير من الصور البلاغية والفنية المتميزة والتي تبثُّ في القصيدة موسيقى جميلة وألوان من الكلام بديعة، حيث يحرص الشاعر فيها على تقريب المعنى من الناس وإيصاله إليهم بطرق فنية غير مباشرة، وفيما يأتي سوف يتم إدراج أهم الصور الفنية فيها:

- **أسلوب الطباق**: ورد أسلوب الطباق في القصيدة في قول الشاعر: حانَ الرَحيلُ وَلَم تُوَدِّع مَهدَداً وَالصُبحُ وَالإِمساءُ مِنها مَوعِدي، حيث أنَ الصبح والإمساء كلمتان متعاكستان.
- **أسلوب الكناية**: ورد أسلوب الكناية كثيرًا في قول الشاعر: في إثر غانِيَةٍ رَمَتكَ بِسَهمِها فَأَصابَ قَلبَكَ غَيرَ أَن لَم تُقصِدِ، كناية عن أنها نظرت إليه فأوقعته في حبها.
- **تشبيه مجمل**: ورد التشبيه المجمل بقوله: بِمُخَضَّبٍ رَخصٍ كَأَنَّ بَنانَهُ عَنَمٌ، حيث شبه البنان بالعنم، فجاء البنان مشبه وعنم مشبه به وأداة الشبه كأن ولم يذكر وجه الشبه.
- **تشبيه تام**: يكون التشبيه تام عندما يتم إدراج جميع عناصر التشبيه كما في قوله: قامَت تَراءى بَينَ سَجفَي كِلَّةٍ كَالشَمسِ يَومَ طُلُوعِها بِالأَسعُدِ، فقد شبه الحسناء بالشمس يوم طلعتها فهي المشبه، والشمس المشبه به، أداة التشبيه الكاف، ووجه الشبه طلعة الشمس بالأسعد.

معاني المفردات الصعبة في قصيدة المتجردة

لا بدَّ من وجود بعض الكلمات صعبة الفهم بالنسبة لبعض القراء في قصائد الشعراء وخصوصًا القصائد القديمة والجاهلية، وقد تكون من الكلمات التي لا يجري استخدامها عادة في الحياة العادية ولذلك من الضروري الرجوع والبحث في المعاجم من أجل التعرف على معانيها الصحيحة، حيث أنَّ اللغة العربية تعرضت للعديد من التغيرات مع مرور الزمن وهنالك الكثير من الكلمات التي لم تعد مستخدمة في الوقت الحالي، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شرح أهم المفردات الصعبة في القصيدة:

المفردة	شرح المفردة
عجلان	مسرع على عجلة من أمره
أفد	اقترب وحل
مهددًا	اسم حبيبة الشاعر

شادن	ابن الغزال الذي قوي على المشي
متربب	محبوس في المنزل
أحوى	يميل لونه إلى الحمرة والسواد
أحم	أسود
النصيف	غطاء الرأس والوجه
مخضب	مصبوغ بالحنة أو غيرها
عنم	نبات أخضر طري وناعم
أشمط	عجوز
أثيث	كثيف وكتير متراكب على بعضه